ابن المقفع الأديب الحر .. والمفكر البارع
(١٠٦-١٤٢هـ / ٧٢٤-٧٥٩م)

بقلم الأستاذ الدكتور / شوقي عبد الحليم حمادة
أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد

مما لا ريب فيه أن قيام الدولة العباسية لم يكن حدثا سياسيا خطيرا في العالم الاسلامى آنذاك فحسب ، وانما كان ثورة عارمة وتغييرا شمل جميع النواحى الاجتماعية والثقافية • وذلك بدخول العصر الفارسي الى السلطة ومشاركته في تسيير دفة الحكم ، وتبعا لذلك اصطبغت معالم الحضارة في هذا العصر في شتى فروعها بنتاج الفكر الفارسي الذىكان يضم بينجوانحه نفحات من الفكر اليونانى والهندى •

أجل : لقد انصهرت هذه التيارات الفكرية الوافدة في بوتقة عربية وظهرت في قالب عربى تمثل في شتى مرافق الحياة •

وتجدر الاشارة الى أن هذا العصر اختلف عن سابقه العصر الاموى بالسماح للموالى من ذوى المواهب وحملة الاقلام،أن تسند اليهم مناصب حيوية كالوزارة وامارة الجيش والولايات ، ولا غرو في ذلك ، فهم قد شاركوا في تأسيس الدولةوالقضاءعلىخصومها وتثبيت كيانها ، فكان من أبرز حملة الاقلام في صدر الدولة العباسية يحيى بن خالد بن برمك وولداه جعفر والفضل ، واسماعيل بن صبيح وزير الرشيد بعد جعفر ومحمد بن الزيات وزير المعتصم فالواثق ، وعلى بن الفرات وزير المقتدر وغيرهم كثير في الفترات التالية ، كابن العميد والصاحب بن عباد والخوارزمى والبديع والصابى والعماد الكاتب والقاضي الفاضل•

هؤلاء وغيرهم من أرباب الفكر حملوا التراثالفارسي والفكر اليونانى والحكمة الهندية ، الى الحضارة العربية ودافعوا عن كيانها وساعدوا على نشرها •

مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، العدد الثالث، مطبعة الأمانة ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م

كما أن الخلفاء والولاة وذوى الســـلطان كانوا يميلون الى معرفة علوم الاعاجم والاستفادة منها ٠

لذلك كان بداية هذا العصر عصر ترجمـــة ، وكان الكاتب الثائر عبد الله بن المقفع بطل حلبته وحامل رايتـــه ، لانه ملك ناصيتى اللغة العربية والفارسية ، فأتحف العربية بطائفـة من الكتب النفيسة في الادب والفلسفة والاجتماع مما سنتحدث عنه فيما بعد بمشيئة الله ٠

حيـاته ومقتله :

هو عبد الله بن المقفع « الجواد الفارسي الجميل » (١) كمـا يقول عنه الجاحظ الذى أقر له بالتقدم حيث اعتبره من المعلمين ثم البلغاء المتقدمين في بلاغة اللسان والقلم والترجمة ، واختراع المعانى وابتداع السير ٠٠٠ الخ ٠ وهو المصلح الاجتماعى (٢) الذى آلّ على نفسه قول الحق ، فكان ضحية شجاعته وصدقه واخلاصه في نصحه ٠ كان اسمه قبل اسلامه روزبه بن داذويه (٣) وكنيتـــه أبو عمرو فلما أسلم سمى عبد الله وكنى بأبى محمد ٠ كان أبوه داذويه مجوسيا ولقب بالمقفع لانه كان عاملا للحجاج بن يوسف الثقفى (٤) يتولى ديوان الخـــراج في فارس (٥) فسرق مالا

---

(١) أدباء العرب في الاعصر العباسية ـ بطرس البستانى : ص ١٣٩ ، ١٤٢ ٠

(٢) تاريخ الادب العربى ـ حنا الفاخورى ص ٤٦٣ ٠

(٣) الوسيط في الادب العربى ـ الاسكندرى ص ٢٠٥ ٠

(٤) أدباء العرب ـ البستانى عن ابن خلكان : « وقيل بل ولاه خالد بن عبد الله القسرى وعذبه يوسف بن عمر الثقفى ، لمـا تولى العراق بعد وفاته » ٠

(٥) ذكر ابن النديم : « انما تقفـــع لان الحجاج بن يوسف الثقفى ضربه بالبصرة في مال احتجنه من مال السلطان ، ضربا مبرحا فتقفعت يده » الفهرست ص ١٧٨ ٠

فضربه الحجاج على يده فتقفعت ، لذلك اقب ولده بابن المقفع (١)

نشأ عبد الله وترعرع على ما ينشأ عليه أبناء اليسار ، في بيئة عربية وأغلب الظن في مدينة البصرة حيث كان لابيه ولاء في بنى الاهتم وهم أهل فصاحة وبلاغة فكان لهـــذه النشأة تأثير عظيم فيه ، وفيما وصل اليه من درجة رفيعة في الادب ٠

أما مكان ولادته فيقال انه ولد في قرية جميلة من قـــرى فارس ، حيث مسقط رأس أبيه ، جور (٢) ٠ وزمن مولده مجهول وفيه آراء متضاربة ،وكثير من المؤرخين يرى أنه ولد عام ١٠٦هـ (٣) أما الدكاترة أحمد كمال زكى ومحد مهدى البصير وعبـد الحكيم بلبع فهم يرون أنه ولد في أواسط العقد التاسع ن القـــرن الاول للهجرة (٤) ٠ وأرجح الرأى الاول لكثرة مراجعه ٠

---

(١) ذكر البغدادى : « وقيل هو المقفع ، بكسر الفاء لعمله القفعة ، بفتح القاف وسكون الفاء ، والقفعة شيء شبيه بالزنبيل بلا عروة ، وتعمل من خوص ليست بالكبيرة ٠ وقال الليث : القفعة تتخذ من خوص مستديرة يجتنى فيها الرطب ونحوه » خـزانة الادب ص ٤٦٠ ٠

(٢) جور : مدينة بفارس بينها وبين شيراز عشرون فرسخا ، وهى مدينة نزهة طيبة ، واليها ينسب الورد الجـورى (معجم الادباء ـ ياقوت ج ٢ ص ١٤٦) ٠

(٣) أدباء العرب ـ البستانى ص ١٣٦ ،الوسيط في الادب ـ الاسكندرى ص ٢٠٥ ، تاريخ الادب العربى ـ الفاخورى ص ٤٣٤ ، الادب الصغير والادب الكبير ورسالة الصحابة ـ يوسف أبو حاقة ص ٦ ٠

(٤) الحياة الادبية في البصرة ـ أحمد كمال زكى ص ٤٩٥ ، في الادب العبـــاسي ـ محمـــد البصـــير ص ٨ ٠ النثر الفنى ـ عبد الحكيم بلبع ص ١٥٠ ٠

وأما تعليمه وتربيته ، فالارجح أن والده عنى به فعلمه القراءة والكتابة ليتخذها مهنة يتكسب بها • وواصل عبد الله تعليمه في البصرة وكانت يومئذ حلبة العرب ومجمع الرواة والمحدثين وعلماء اللغة والدين والبيان والفقه ومنتدى البلغاء والخطباء والشعراء وفيها المربد (١) عكاظ الاسلام •

لقد كان ابن المقفع ذكيا ألمعيا فطنا حيث أضاف الى ثقافته الفارسية ما تعلمه من آداب العرب ومشافهة الاعراب الوافدين الى البصرة وتردده على منتدياتهم كما ساعده اسلامه « أن أتاح له الفرص للتردد على المسجد الجامع تردد المواظب لا تردد الزائر فلم يكن لزومه له لزوم ذوى الحاجات العارضة » (٢) •

أما الرأى القائل بأنه تعلم على أبى جاموس نور بن يزيد ، وهو أعرابى يفد البصرة على آل سليمان بن على (٣) وعنه أخذ ابن المقفع الفصاحة فهو قول مبالغ فيه (٤) •

عمل ابن المقفع كاتبا في دواوين بنى أمية : فاستكتبه عمر ابن هبيرة في ديوانه بكرمان ، في خلافة هشام بن عبد الملك ، واستكتبه المسيح بن حوارى في نيسابور ، وداود بن هبيرة(٥)

---

(١) المربد : بالكسر ثم السكون وهو من أشهر محال البصرة وكان سوق الابل فيه قديما ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس وبه كانت مفاخرات الشعر ومجالس الخطباء وهو الان يبعد عن البصرة بثلاثة أميال ومحله مدينة الزبير حاليا (معجم البلدان ج ٤ ص ٤٨٤) •

(٢) الحياة الادبية في البصرة ـ أحمد زكى ص ٤٩٤ •

(٣) الفهرست ـ ابن النديم ص ١٧٨ •

(٤) الادب العباسي ـ الدكتور البصير ص ٩ •

(٥) ذكر الاستاذ أحمد أمين بأنه كتب ليزيد بن عمر بن هبيرة ، وكان يزيد واليا على العراق لمروان بن محمد أحد خلفاء بنى أمية ، ثم كتب لاخيه داود بن عمر بن هبيرة ، ضحى الاسلام ص ١٩٥ •

والى العراق من قبل مروان بن الحكم آخر خلفاء بنـ أمية (١) ٠

وفي العصر العباسي ، كتب لعيسي بن على أيام ولايته على كرمان (٢) ثم اتخذه اسماعيل بن على والى الاهواز ثم الموصل، مؤدبا لبعض أولاده ، وكتب لسليمان بن على عندما كان واليا على البصرة من قبل أبى جعفر المنصور ، وظل منقطعا اليه والى أخيه عيسي حتى قتل ، (٣) على يد سفيان بن معاوية المهلبى عامل أبى جعفر المنصور على البصرة سنة١٤٢ هـ أو ١٤٣ أو ١٤٥هـ وسبق مقتله عدة حوادث قيل أنها ذات صلة وثيقة بذلك وهى : خروج عبد الله بن على ـ بطل معركة الزاب الفاصلة ، والمنتصر على بنى أمية في الشام ـ على المنصور عام ١٣٧ هـ ، وذلك بعد عام من تولى ابن أخيه أبى جعفر المنصور الخلافة ١٣٦ هـ ٠ اذ كان يرى أنه أحق بها ٠ فأرسل له هذا جيشا بقيادة أبى مسلم الخراسانى ، ففرق شمله وكسر جيشه ، وفر عبد اللهالىالبصرة هاربا ، ولاذ باخوته سليمان وعيسي ، وكان سليمان آنذاك واليا على البصرة من قبل المنصور ٠ فاختفى عندهما وطلب الامان والتوسط لدى الخليفة للعفو عنه منهما ٠ وعندما طلب الخليفة تسليم عبد الله رفضا ذلك ، فعزل سليمان عن ولاية البصرة سنة ١٣٩ هـ ، وأقام سفيان بن معاوية المهلبى مكانه ٠

وواصل سليمان وعيسي مساعيهما ومحاولاتهما لدى الخليفة ليحصلا على العفو عن أخيهما عبد الله ٠ فترددت الرسل والمراسلات بينهم ، وكثرت الشفاعات لعبد الله،فوافق المنصور على ذلك ، فطلبا منه الامان ، لانهما خشيا على حياة أخيهما من

---

(١) تاريخ الادب العربى ـ الفاخورى ص ٤٣٧ ، الفهرست ابن النديم ص ١٧٨ ، الوزراء الجهشيارى ١٠٩ ٠
(٢) الفهرست ـ ابن النديم ص ١٧٨ ٠
(٣) أدباء العرب ـ البستانى ص ١٣٧ ٠

غدر المنصور فأوعزا الى كاتبهما عبد الله بن المقفع أن يكتب صيغة الامان ويشدد فيها لئلا يجد المنصور منفذا للغـــدر بعمه عبــد الله (١) ٠

فكتب عبد الله صيغة الامان بلهجة شديدة ممـــا أغضب المنصورولا سيما بسببما جاء بشأن البيعة،فأوعز لعامله بالبصرة سفيان بن معاوية ، بقتل ابن المقفع (٢) وكانت هنـــاك احن وضغائن بينهما من قديم ، يوم كان المسيح بن حوارى حاكمـــا على نيسابور ، وخلفه سفيان بن معاوية ، فوقف ابن المقفع الى جانب المسيح ، وحاولا التخلص من سفيان ، ولكن محاولاتهمـا باءت بالفشل ، وتأصلت العداوة بين ابن المقفع وسفيان ٠

و « راح كاتبنا يتندر عليه ويستخف به عند توليه البصرة بعد سليمان ، فقال سفيان مرة : « ما ندمت على سكوتى قط »٠ فأجابه ابن المقفع : « الخرس زين لك ، فكيف تندم عليه ! » ٠ وكان أنف سفيان كبيرا ، فكان ابن المقفع اذا دخل عليه قـــال : « السلام عليكما » (٣) يعنى سفيان وأنفه ٠ ولذلك كان طلب المنصور فرصة ذهبية لسفيان لينتقم من خصمه وعدوه اللدود٠ فعجل بتنفيذ الامر وتحين الفرص لعبد الله حتى ظفر به ، فقتله شر قتلة ٠

قيل : انه ألقى في بئر وردمت عليه بالحجارة (٤) ٠ وقيـــل : قتله حرقا بالنار بعد أن قطع أوصاله (٥) ٠ وقيل : بل أدخـــل حماما ساخنا وأغلق بابه فمات مختنقا ٠

---

(١) الوزراء ـ الجهشيارى ص ١١٠ ٠
(٢) خزانة الادب ـ البغدادى ص ٤٦٠ ٠
(٣) أدباء العرب ـ البستانى ص ١٣٨ ٠
(٤) أدباء العرب ـ البستانى ص ١٣٨ ٠
(٥) الفهرست ـ ابن النديم ص ١٧٨ ٠

ويرى الجاحظ : أن سبب قتل ابن المقفع أنه أغرى عبد الله ابن على بقتل المنصور فغطن له المنصور وأمر بقتله (١) ٠

وقيل : « انه قتل بالبصرة عام ١٤٢ للهجرة ، قتلهسفيانبن معاوية ، والى البصرة بعد عزل سليمان لضغينة عليه ولاتهامه بالزندقة والكيد للاسلام ، بترجمة كتب الزنادقة الى العربية ، وكانت هذه التهمة مما جعلت الخليفة يهمل تحقيق مقتله عندما شكاه عماه عيسي وسليمان الوالى القاتل اليه ٠٠٠ الخ » (٢)

ويرى كارل بروكلمان،أنه ربمايكون ابن المقفع أثار شبهات السلطان وشكوكه من طريق مشاركته في نشاط الفرس السياسي الدينى ، هذا النشاط الذى أثقل كما رأينا كاهل المنصور وأنقض ظهره (٣)

وبعد استعراض هذه الاراء وتلك الحوادث نستطيع أن نقول : ان العوامل التى أودت بحياة ابن المقفع كانت : ـ

أولا ـ عوامل غير مباشرة وهى :

١ ـ كتابة ابن المقفع رسالة الصحابة ، والتى بعث بها الى المنصور ، وهى تعد بحق دراسة واقعية عميقة للاوضاع السائدة إنذاك وثورة اصلاحية تستحق الدرس والوقوف عندها ٠

٢ ـ ترجمة كتاب كليلة ودمنة ، هذا الكتاب الذى انتقد السلطة والسلطان ، وأوقف الشعب على مواقع الخطل في النظم السائدة آنذاك ودعا الى الاصلاح الاجتماعى ، بطريقة سرد القصص والحكايات على ألسنة الحيوانات ٠ « حيث لا مجال للنقد الصريح وسيف المنصور مصلت يقطع رأس كل مخالف ،

---

(١) ثلاث رسائل ـ الجاحظ ص ٤٧ ٠
(٢) الوسيط في الادب العربى ـ الاسكندرى ص ٢٠٦ ٠
(٣) تاريخ الشعوب الاسلامية ـ كارل بروكلمان ص ١٨٤ ٠

وضحايا كثيرون،قتلوا بالظنة وتذرع فيفتلهم بالاتهام بالزندقة، أو نحو ذلك ، وكان ابن المقفع نفسه أحد هذه الضحايا (١) ٠

٣ ـ العداء المستحكم بين ابن المقفع وبين سفيان بن معاوية كما سبق ٠

٤ ـ وهناك رواية عن حماد عجرد « وهو صديق حميم لابن المقفع ، حيث يقول : ان أبا أيوب الموريانى ، هو الذى دبر مقتل عبد الله بن المقفع ، لانه كان يعرف اعجاب المنصور به واكباره لفضله وأدبه ويخشي أن يخلفه يوما في منصبه » (٢) ٠

ثانيا ـ العامل المباشر وهو :

كتابة العهد الذى أغاظ المنصور وعظم عليه ذلك ، ولاسيما أمر البيعة فغضب على ابن المقفع وأوعز لعامله عـــلى البصرة بقتله (٣) وهذه مقتطفات من هذا العهد (٤) ٠

« ٠٠٠ وان أنا نلت من عبد الله بن على ، أو واحد ممن أقدمه معه بصغير من المكروه أو كبير ، أو أوصلت الى أحد منهم ضررا ، سرا أو علانية على الوجوه والاسباب كلها ، تصريحا أو كناية ، أو بحيلة من الحيل فأنا نفى من محمد بن على بن عبد الله ومولود لغير رشدة ٠ وقد حل لجميع أمة محمد خلعى وحربى والبراءة منى ولا بيعة لى في رقاب المسلمين ولا عهد ولا ذمة ، وقد وجب عليهم الخروج من طاعتى واعانة من ناو أنا من جميع الخلق ، ولا موالاة بينى وبين أحد من المسلمين ، وهو متبرىء من الحول والقـوة ، ومدع ـ ان كان ـ أنه كافر بجميع الاديان ، ولقى ربه على غـير

---

(١) ضحى الاسلام ـ أحمد أمين ص ٢١٨ ٠
(٢) الادب العباسي ـ البصير ص ١٣ ٠
(٣) من حديث الشعر والنثر ـ الدكتور طه حسين ص ٤٦ ٠
(٤) الوزراء والكتاب ـ الجهشيارى ص ١٠٤ ٠

دين ولا شريعة ، ومحرم المأكل والمشرب والمناكح والمركب والرق والملك والملبس على الوجـــوه والاسباب كلهـــا ، وكتبت بخطى ولا نية لى سواه ، ولا يقبل الله منى الا اياه والوفاء به » .

ووقع المنصور على هذا العهد ، ولكن عبد الله بن على عم المنصـــور قتل ، قيـــل قتله المنصور شر قتلة ، اذ جعله في بيت أساسه ملح وأجرى عليه المـــاء ، فسفط عليه ومات (١) .

وقبل أن نسدل الستار على مسرحية مقتل ابن المقفع لا بد من نقل هذه الرواية التى تتعلق بموقف المنصور من قتله والتى تدل على صراع الانسان مع أخيه الانسان من أجل عرض الحياة الدنيـــا الزائل :

« عندما بلغ الخبر سليمان وعيسي ابنى على ، مقتـــل ابن المقفع خاصما سفيان بن معاوية الى المنصور ، وأحضراه اليه مقيدا ، وشهد أناس أن ابن المقفع دخل داره ولم يخرج منها ، فقال المنصور للشهود : « أرأيتم ان قتلت سفيان به ، ثم خرج ابن المقفع من هذا البيت (وأشار الى باب خلفه) وخاطبكم ، ما ترونى صانعا بكم . أفأقتلكم بسفيان ؟ » .

فخاف الشهود ، ورجعوا عن الشـــــهادة ، وأضرب عيسي وسليمان عن ذكره ، وعلما أنه قتل برضي المنصور (٢) .

وبعـــد فما رأينا فى براءة ابن المقفع ؟ .

ألم يكن ضحية وفائه لسيده عيسي بن على وأخيه سليمان بكتابته عهد الامان وتشدد فيه ؟ (٣) .

---

(١) أدباء العرب ـ البستانى ص ١٣٨ حاشية .
(٢) أدباء العرب ـ البستانى ص ١٣٨ حاشية .
(٣) أنظر قصة ابن المقفع مع الخليل بن أحمد الفراهيدى في كتاب خزانة الادب للبغدادى ص ٤٦٠ .

ألم يكن ضحية العداء والضغينة وحقد سفيان بن معادية عليـــه ؟

ألم يكن ذلك المصلح الاجتمـــاعى والاديب الواقعى ، الذى تحسس مواقع الضعف وأشار اليها بالبنان ، يتوخى النصح في رسالته التى بعثها للخليفة ـ رسالة الصحابة ـ ضـــحية حبـــه للخـــير ؟ ٠

والى جانب رغبته الملحة بالاصلاح واســـداء النصـــيحة للاخرين ، كان يتحلى بالشجاعة مع التفية ، حيث حدت به لان يعلن عن آرائه وبتلك الصراحة ، في عهد اختفت فيه المعارضـة وعظم البطش ، وهان قتل الاحرار ، وتهمة الزندقة أعـدت لكل مخـالف ٠

ألا نرى من المحتمل أن يكون لابى أيوب الموريانى يد في قتل ابن المقفع ، بدافع الحسد ، وخوفا على مركزه ؟ وهل نسي الموريانى نصيحة ابن المقفع في رسالة الصحابة ، بالتحرز والاحتيـاط في اختيار رجال حاشيته وأصحابه ؟ « ولصحابة أمير المؤمنين مزية وفضل ، وهى مكرمة سنية ، حرية أن تكون شرفا لاهلها ، وحسبا لاعقابهم ، وحقيقة أن تصان وتحظر ، ولا يكون فيها الا رجل بدر بخصلة من الخصال أو رجل له عند أمير المؤمنين خاصة بقرابة أو بلاء ، أو رجل يكون شرفه ورأيه وعمله أهلا لمجلس أمير المؤمنين وحديثه ومشورته ، أو صاحب نجدة يعـــرف بها ويستعد لها ، يجمع مع نجدته حسبا وعفافا ، فيرفع من الجند الى الصحابة ، أو رجل شريف لا يفسد نفسه أو غـــيرها ، فأما من يتوســـل بالشفاعات ، فانه يكتفى له بالمعروف والبر فيما لا يهجن رأيا ولا يزيل أمرا عن مرتبته ، ثم تكون تلك الصحابة المخلصة عـلى منازلها ومداخلها ، لا يكون للكاتب فيها أمر في رفـــع رزق ولا

وضعه ، ولا للحاجب تقديم اذن ولا تأخير » (١) ٠

ألا نرى ترجمته لكتاب كليلة ودمنة ، هذه التحفة الرائعة في عالم الادب ، كانت سببا في نقمة الخليفة وحاشيته عليه ؟ ٠

وبعد فلم يبق لنا الا أن نبرئه من تهمة الزندقةالتىألصقت به وتلك هى الروايات التى تعرضت له بهذا الشأن :

قال السيد المرتضي في أماليه : « قال جعفر بن سليمان عن المهدى أنه قال : « ما وجدت كتاب زندقة قط ، الا وأصله ابن المقفع » (٢) ٠

ويروى البعض أنه مر ببيت النار بعد اسلامه ، فتمثل بقول الاحوص :

يا دار عاتكة التى أتغزل
حذر العدا وبك الفؤاد موكل
انى لامنحك الصدود وانني
قسما اليك مع الصدود لاميل (٣)

والجهشيارى يروى أن سفيان بن معاوية ، الذى كلفه المنصور بقتله ، وصادف تلك هوى في نفسه لعداء شخصي بينه وبين ابن المقفع قال له حين هم بقتله : « والله يا ابن الزنديقة لاحرقنك بنار الدنيا قبل نار الاخرة » (٤) ٠

أما عن قصة اسلامه فقد قيل انه جاء الى عيسي بن على ، وقال له : « قد دخل الاسلام في قلبى ، وأريد أن أسلم على يدك » فقال له عيسي : « ليكن ذلك بمحضر من القواد ووجوه الناس ،

---

(١) الادب الصغير والادب الكبير ورسالة الصحابة يوسف أبو حلقة ص ٢١٧ ٠
(٢) خزانة الادب ـ البغدادى ـ ص ٤٥٩ ٠
(٣) زهر الاداب ـ الحصرى ـ تحقيق زكى مبارك ج ١ ص ٢٤٦
(٤) الجهشيارى ـ الوزراء ٠ ص ١١٤ ٠

فاذا كان الغد ، فاحضر » ثم حضر طعام عيسي عشية ذلك اليوم ، فجلس ابن المقفع يأكل ويزمزم (١) على عادة المجوس ، فقال له عيسي : « أتزمزم وأنت على عزم الاسلام ؟ » • فقال : « أكره أن أبيت على غير دين » (٢) •

ويروى الجاحظ : « كان منقذ بن زياد الهلالى ومطيع بن اياس ويحيى بن زياد وحفص بن ودة وقاسم بن زنقطة وابن المقفع ووالبة بن الحباب ، وبشار بن برد ، وابان اللاحقى يجتمعون على الشراب وقول الشعر ، ويهجو بعضهم بعضا ، وكل منهم متهم في دينـــه » (٣) •

ويضيف على هذه الرواية بطرس البستانى : » ولكنه أزالها مع الشرب ، ولم تكن الخمر لتقوده الى الاثم ، وتنزل به منـــازل الرذيلة وفي ذلك يقول :

سأشرب ما شربت على طعامى
ثلاثا ثم أتـــركه صـــحيحا
فلست بقـــارف منـــــه أثاما
ولست براكب منـــه قبيحا (٤)

وقيل انه عارض القرآن ، ولكن لم يؤثر عن ابن المقفع كتاب خاص بهذه المعارضة ، مما جعل الناس حيالها بين مصدق ومكذب •

---

(١) وردت في القاموس المحيط : والزمزمة ، تراطن العلوج ، وهم كفار العجم على أكلهم وهم صموت ، لا يستعملون لســانا ولا شفة لكنه صوت يديرونه في خيـــاشيمهم وحلوقهم فيفهم بعضهم عن بعض •

(٢) أمراء البيان • محمد كردعلى ص ١٠٤ •

(٣) الحياة الادبية في البصرة ـ أحمـــد زكى ص ٤٩٨ عن أمالى المرتضي ج ١ ص ١٣١ •

(٤) أدباء العرب ـ البستانى ص ١٤٠ •

كما لم يصلنا سوى الفقرات المثبتة في كتـــاب القاسم ، والتى أشار اليها تمهيدا للرد عليها (١) ٠

هذه مجموعة روايات تكاد تكون في الحقيقةقبضةمنالدخان جمعها المؤرخون لالصاق الزندقة بابن المقفع ، وكلها تستند على الظن لا على اليقين ٠

والمعروف أن ابن المقفع كاتب مشهور ، ترك اثارا رائعـــة ترجمت الى لغات عالمية حية ، وعرفها القاصي والدانى من رواد الادب ، هذه المؤلفات عندما نتصفحها لم نجد ما يشيرالىاتهامه بالزندقة ، فآثاره لا تعارض الاسلام ولا تنافي أحكامه ٠

أما كتابه الذى عارض به القرآن فمردود أصلا ، اذ لميؤثر عن ابن المقفع كتاب بهذا المعنى ، ولو وجد لذكره المســـعودى أو ابن النديم ٠ وانما وجد الرد من قبل القاسم بن ابراهيم (٢) على ابن المقفع ، وأرى أن هذا من وضع أعداء ابن المقفع ، لان ابن النديم عندما استعرض مؤلفات القاسم بن ابراهيم لم يشر الى هذا لكتاب من قريب أو بعيد (٣) ٠

---

(١) مظاهر الشعوبية في الادب العربى ـ دكتور محمد نبيه حجاب ص ٤٠٢ ٠

(٢) هو القاسم بن ابراهيم بن طباطبا بناسماعيلالديباج ابن ابراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الحسن بن على بن أبى طالب كان يكنى أبا محمد وكان يقيم في جبال الرس ، ولذا عرف باسم الرسي ، وقد مات القاسم سنة ٢٤٦ هـ أى بعد ابن المقفع بنحو قرن ٠ (ضحى الاسلام ـ أحمد أمين ص ٢٢٤ نقلا عن عمدة الطالب في أنساب آل أبى طالب) ٠

(٣) ذكر صاحب كتاب ضحى الاسلام ص ٢٢٦ مؤلفـــات القاسم بن ابراهيم وهى : كتاب الاشربة وكتاب الامامة وكتاب الايمان والنذور وكتاب الرد على الرافضة ٠وذلكنقلا عنالفهرست لابن النديم ص ١٩٣ ٠

ولقد عقد الاستاذ أحمد أمين فصلا بشأن الرد على نسبة كتاب معارضة القرآن لابن المقفع ، فذكر : انه في الرقت الذى يشك بوجود كتاب لابن المقفع بهذا الاسم أو المضمون يشك أيضا في رد القاسم بن ابراهيم (١) .

ويضاف الى ما سبق أن ابن المقفع قتل على يد سفيان بن معاوية ، وظهر أن دوافع القتل أمر المنصور بذلك ، والاسباب المذكورة آنفا ، فلو كان لابن المقفع كتاب يعارض به القرآن لما قتل سرا ، ولاعلن على رؤوس الاشهاد ، وخاصة من قبل خصمه وعدوه سفيان .

ثم أيقبل المنطق السليم أن يعارض ابن المقفع القران ، وبذه الصورة المفضوحة ، وسيف المنصور مصلت على الرقاب ، وهو الرجل الذى عرف بالتقية وعدم المجاهرة ؟ (٢) .

أما رواية مروره ببيت النار بعد اسلامه ، وتمثله بقول الاحوص فلا نقاش فيها ، اذ لم يذكر الرواة رجلا ثقة بعينه شاهد أو سمع ذلك .

وقصة اسلامه لا غبار عليها .

ولو فرضنا جدلا ، أنه ألف قبل اسلامه ما يمت الى الزندقة من قريب أو بعيد ، وأنه مزقه بعد اسلامه كما يدعون فخيرا فعل ولا يؤاخذ عليه ، لان الاسلام يجب ما قبله .

وبعد أن اتضح أن تهمة الزندقة بحق عبد الله بن المقفع لا تستند الى حقيقة ولا يؤيدها دليل قاطع ، وأنها محض ظن ومن نسيج جمهرة من معارضيه ، ولذلك صحت براءته .

---

(١) ضحى الاسلام ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ .
(٢) أدباء العرب ـ البستانى ص ١٤٢ .

آراء الادباء في ابن المقفع :

قال الاستاذ أحمد أمين : « ابن لمقفع من أقوى الشخصيات في عالم الادب العربى ، قوى في خلقه ، قوى في عقله وسعة علمه، قوى في لسانه ٠

أما خلقه ، فنبل يكرم وتعهد لذوى الحاجات يواســـيهم ، وتقدير دقيق للصداقة ، ومراقبة شديدة لنفسه ، يحملها على الاجدر والانبل ٠ ورغبة شديدة في اصلاح الراعى والرعية ـ خلقيا واجتماعيا ـ والى ظرف الخاصة ، والتمسك بآداب اللياقة ومراعاة الدقة فيما يتطلبه الذوق » (١) ٠

ويقول بطرس البستانى : « وعرف ابن المقفع بالمروءة وكرم الخلق للاصحاب ، وكان يقول : « أبذل لصديقك دمك ومالك » ، ولم يحجم عن تحقيق هذا القول ، يوم ظلب صديقه عبد الحميد ابن يحيى بعد قتل مروان بن محمد ٠٠٠ (٢) ٠

وقال فيه الاستاذ يوسف أبو حلقة . « كان ابن لمقفع كريما وفيا سريا سخيا ، يعرض نفسه للموت لبدفعه عن صديقه » (٣)

وقال : « كان يقول فيفعل ، ويفعل فيخلص ، وكان صالحا قبل أن يكون مصلحا ٠٠٠ » (٤) ٠

ويرى الدكتور أحمد كمال زكى : أنه كان مصلحا اجتماعيا يفكر على أساس أيديولوجى معين (٥) ٠

---

(١) ضحى الاسلام ـ أحمد أمين ص ١٩٧ ٠
(٢) أدباء العرب ص ١٣٩ ٠
(٣،٤) الادب الصغير والادب الكبير ورســـالة الصحابة ص ٧ ، ٩ ٠
(٥) الحياة الادبية في البصرة ص ٤٩٧ ٠

مقتطفات من كتابيه (الادب الكبير) ، (الادب الصغير) :

الادب الكبـــير :

يعترف ابن المقفع بأنه أخذ كتابه هذا من أقوال المتقدمين، وقد قدم له بتوطئة « في فضل الاقدمين على العلم وشروط درسه والغرض من هذا الكتاب » وقسمه الى مبحثين : الاول في السلطان ومصاحبته وما يجمل بكل منهما من الخلال ، وفي هذا المبحث بابان الاول في آداب السلطان والثانى في صحبة السلطان ٠

أما المبحث الثانى فقد خصه بالاصدقاء ، وحسن اختيـــار الصديق ، وحسن معاملته ، وكل ما له علاقة بالاصدقاء ٠

بعض النمـــاذج :

ما ينبغى للسلطان نحو رعيته

لا تمكن أهل البلاء الحسن عندك من التدلل (١) عليك ، ولا تمكنن من سواهم من الاجتراء عليهم والعيب لهم،لتعرف رغبتك أبوابك التى لا ينال ما عندك من الخير الا بها ، والابواب التى لا يخافك خائف الا من قبلها ، احرص الحرص كله على أن تكون خابرا أمور عمالك ، فان المسيء يفرق (٢) من خبرتك قبـــل أن تصيبه عقوبتك ، وان المحسن يستبشر بعلمك قبل أن يأتيـــه معـــروفك ٠

ليعرف الناس فيما يعرفون من أخلاقك ، أنك لا تعـــاجل بالثواب ولا بالعقاب ، فان ذلك أدوم لخوف الخائف ورجاء الراجى٠

عود نفسك الصبر على من خالفك من ذوى النصـــيحة ، والتجرع لمرارة قولهم وعذلهم ، ولا تسهلن سبيل ذلك الا لاهـل

---

(١) البلاء : الاختبار ٠ تدلل عليه : أظهر الجـــرأة إيهاما بالمخالفة وليس في نفسه خلاف ٠

(٢) يفـــرق : يخاف ٠

العقل والسن والمروءة ، لئلا ينتشر من ذلك ما يجترىء به سفيه أو يستخف به شانىء (١) ٠

« لا تتطاول على الاصحاب »

ان رأيت صاحبك مع عدوك فلا يغضبنك ذلك فانما هو أحد رجلين :

ان كان رجلا من اخوان الثقة فأنفع مواطنه لك أقربها من عدوك لشر يكفه عنك ، أو لعورة يسترها منك ، أو غائبة يطلع عليها لك ، فأما صديقك فما أغناك أن يحضره ذو ثقتك ٠

وان كان رجلا من غير خاصة اخوانك فبأى حق تقطعه عن الناس وتكلفه ألا يصاحب ولا يجالس الا من تهوى ؟

تحفك في مجلسك وكلامك من التطاول على الاصحاب ، وطب نفسا عن كثير مما يعرض لك فيه صواب القول والرأى مداراة لئلا يظن أصحابك أن دأبك (٢) التطاول عليهم ٠

اذا أقبل اليك مقبل بوده فسرك ألا يدبر عنك فلا تنعم الاقبال عليه (٣) والتفتح له ، فان الانسان طبع على ضرائب (٤) لؤم ٠ فمن شأنه أن يرحل عمن لصق به ويلصق بمن رحل عنه الا من حفظ بالادب نفسه وكابر طبعه ٠

فتحفظ من هذا فيك وفي غيرك ٠

---

(١) الشانىء : المبغض ٠
(٢) الدأب : العادة والشأن ٠
(٣) تنعم الاقبال عليه : تبالغ فيه ٠
(٤) ضرائب : طبائع ٠

الادب الصـــغير :

كان ابن المقفع في الادب الصغير ناقلا أيضا • فقـــد قال : « وقد وضعت في هذا الكتاب من كلام الناس المحفوظ حروفا ، غير أنه تصرف فيما نقله • وهذا الكتاب كناية عن دروس أخـلافية اجتماعية ترغب في العلم وتدعو المرء الى تأديب نفسه ، ويوصي بالصديق ويتكلم على سياسة الملوك والولاة •

بعض النمـــاذج :

شكر الله على نعمه والعمل بطاعته

قد بلغ فضل الله على الناس من السعة وبلغت نعمتهعليهم من الســـبوغ (١) ما لو أن أخسهم حظا وأقلهم منه نصـــيبا وأضعفهم علما وأعجزهم عملا وأعياهم لسانا •

بلغ من الشكر له والثناء عليه بما خلص اليـــه من فضله ووصل اليه من نعمته ، ما بلغ له منه أعظمهم حظا وأوفـــرهم نصيبا وأفضلهم علما وأقواهم عملا وأبسطهم لسانا ، لـكان عما استوجب (٢) الله عليه مقصرا وعن بلوغ غاية الشكر بعيدا •

ومن أخذ بحظه من شكر الله وحمده ومعرفة نعمـــه والثناء عليه والتحميد له ، فقد استوجب بذلك من أدائه الى الله القربة عنده والوسيلة اليه والمزيد فيما شكره عليه منخيرالدنيا،وحسن ثواب الاخرة •

أفضل ما يعلم به علم ذى العلم وصلاح ذى الصـــلاح أن يستصلح بما أوتى من ذلك ما استطاع من الناس ويرغبهم فيما رغب فيه لنفسه من حب الله ، وحب حكمته والعمـــل بطاعتـــه

---

(١) السبوغ من سبغ الثوب : اتسع وطال ، والمراد هنـــا شمول النعمة •

(٢) دستوجب : استحق •

والرجاء لحسن ثوابه في المعاد اليه ، وأن يبين الذى اهم من الاخذ بذلك والذى عليهم في تركه وأن يورث ذلك أهله ومعارفه لبلحقه أجره من بعد الموت ٠

« الدليل على معرفة الله »

مما يدل على معرفة الله وسبب الايمان أن يوكل بالغيب لكل ظاهر من الدنيا ، صغير أو كبير ، عينا ، فهو يصرفه ويحركه ٠

فمن كان معتبرا بالجليل من ذلك فلينظر الى السماء فسيعلم أن لها ربا يجرى فلكها ،ويدبر أمرها ، ومن اعتبر بالصغير ، فلينظر الى حبه الخردل فسيعرف أن لها مدبرا ينبتها ويزكيها ويقدر لها أقواتها من الارض والماء ، يوقت لها زمان نباتها وزمان تهشمها ، وأمر النبوة والاحلام وما يحدث في أنفس الناس من حيث لا يعلمون ، ثم يظهر منهم بالقول والفعل ، ثم اجتماع العلماء والجهال والمهتدين والضلال على ذكر الله وتعظيمه ، واجتمع من شك في الله وكذب به على الاقرار بأنهم أنشئوا حديثا ، ومعرفتهم أنهم لم يحدثوا أنفسهم ٠

فكل ذلك يهدى الى الله ويدل على الذى كانت منه هذه الامور ، مع ما يزيد ذلك يقينا عند المؤمنين بأن الله حق كبير ولا يقدر أحد على أن يوقن أنه بالباطل (١) ٠

---

(١) الادب الصغير والادب الكبير لابن المقفع ـ دار بيروت للطباعة والنشر ص ٣٢ ، ٣٦ ، ٧٠ ، ٧١ ، ١٠٠ ، ١٠١ ٠